

اللون في السينما

سارة رماضنية

السنة الأولى دكتوراه سينوغرافيا فنون العرض
قسم الفنون كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس

مقدمة

دخول عالم السينما ليس بالأمر الهين سواء من باب الإبداع أو من باب الاستمتاع ، سواء من طرف صانع السينما أو من طرف المتلقي لأنواع الإبداعات ، والمتذوق يختلف باختلاف المكان والزمان وحتى طريقة التفكير .

اخترقت السينما عالم الصمت فأصبحت ناطقة ، واجتازت عالم الأبيض والأسود فأصبحت ملونة أو بالألوان ، وكان لكل جماله وخياله وواقعه .

ومن هنا يُطرح التساؤل التالي : كيف تُرى الألوان على مستوى العين ، وكيف استعملها السينمائيون في الرمزية للموضوع ولماذا اهتموا بتوظيفها ؟

للون تأثيرات ودلالات تشد النظر وتستدرج العقل البشري لفهمها وتحليل معانيها باختلاف الثقافات والشعوب ،

فالمتلقي يفسر تلك الرسائل البصرية بناء على خلفيته وعاداته وتقاليده، وقد ترتبط بخلفية المخرج والبيئة التي ينتمي إليها قد يتفق أو يختلف مع معتقدات المتلقي ، فالتفاعل مع اللون والاستجابة له مرتبط ارتباطا وثيقا بمرجعية المتلقي ذاته .

لأن الاستجابة للون ، فهمه ، تذوقه والإحساس به تتم بالشعور والحواس وليس بالنظر ، فاللون يُبصر ، ولكنه يُدرك بالشعور ويترجمه العقل حسب مخزون الذاكرة ، ويُفسر حسب التجارب الذاتية .

وهنا تختلف الدلالات اللونية حسب الشعوب والمجتمعات .
كيفية رؤية اللون

الإبصار هو الحاسة التي خلقت لب الرجال والنساء عبر التاريخ وحيرتهم أيضا . فمن بين الحواس الخمس التي يمتلكها الإنسان يعد الإبصار هو الحاسة الأكثر ارتباطا بالفنون البصرية وبإدراك الفن . انه بمثابة ((النافذة الكبرى)) . (1)

إن الهدف الأساسي من الشبكية هو امتصاص أشعة الضوء وتحويلها إلى إشارات الكتروكيميائية تتوافق مع اللغة الخاصة بالمخ ، وهناك ثلاث أنماط من الخلايا الموجودة في الشبكية مهمة في إرسال الإحساسات البصرية إلى المخ وهي الخلايا المستقبلية (العصبي والمخاريط) الخلايا الثنائية الأقطاب والخلايا العقدية ،

وكل منها متخصصة في عمل ، منها المخاريط فهي متخصصة في تحقيق الرؤية للمدى الكامل من اللون ، وهي تكون نشطة في ظل ظروف الإضاءة الكاملة (مثلا أثناء ضوء النهار) ، إن ما تدركه العصي ليس هو اللون ولكنه شدة أو كثافة المثيرات السوداء ، الرمادية ، البيضاء .

وتحتاج الألوان البعيدة عن الحساسية العليا للعصي والمخاريط إلى كثافة أكبر كي يتم اكتشافها . (2)

الألوان من الفن التشكيلي إلى السينما

اللون يحمل رسائل حسية وفنية بتوظيفنا له في اللقطات والمشاهد سواء من خلال المناظر ، الديكور ، أو الأزياء وباختلاف كثافته وشدته من الحرارة أو البرودة يمكننا الإشارة والرمز إلى مفاهيم ومضمون دلالي معين .

بما أن الفن التشكيلي يعتمد على الألوان بالدرجة الأولى ، وقد سبق السينما إليها ، فبعد ظهور اللون في السينما أول ظهور كانت اللقطات تلون يدويا باليد ثم تطور بعد ذلك وكانت تلون اللقطة كلها بلون واحد بالريشة مثلا باللون الأزرق للدلالة على الليل ، واستعملت تلك اللقطات في الأفلام .

وقد حرصت السينما على استعمال الألوان بفائدة وليست لمجرد وجود الألوان والزخرفة حتى يفقد الفيلم مضمونه ويهمش ، بحيث يحمل اللون قيمة درامية تثري الفيلم .

لذا كانت العناية باستعمال الألوان وتوظيفها التوظيف الصحيح لكي لا يحدث أي خطأ ، وليشعر المتلقي بالأمان ، فلا تكون هناك أي صدمات لونية أو تضاد أو تناقض حاد ينقل المتلقي من الاندماج التام والراحة إلى الصدمة والنفور ، لذا حرص صناع السينما على تنسيق الألوان ليتقبلها المتلقي ، فاستعانوا بفنانين تشكيليين في ذلك لكونهم خبراء في مجال تنسيق الألوان .

استعمالات ودلالات اللون سينمائيا

يعتبر المخرج الروسي سيرجي ايزنشتين من أهم المنظرين للون في السينما في فترة مبكرة من دخول الألوان في السينما

بل انه يحمل بجانب اللون نظريات عديدة في موسيقى الصورة وانسجامها مع الموسيقى النغمية ومع اللون مع المونتاج والإخراج

وأراد الدمج بين النظر والصوت وإزالة الحواجز فكتب قصيدة وأرفق بها موسيقى ونوع اللون الذي يراه وقال :

الكلمات: في حزن أخذت تتجول أحلى الفتيات ..

الموسيقى : نغمات آلة الفلوت ، حزينة شجية .

اللون : زيتوني ممزوج باللون القرنفلي واللون الأبيض .

الكلمات : تتغنى بأغنية مرحة كطائر القبرة .

الموسيقى : نغمات رقيقة ترتفع وتتوالى دقيقة في تتابع سريع

اللون : أزرق أدكن يمتزج بلون قرمزي ولون أخضر يميل إلى
الاصفرار ..

ويكفي ذلك للدلالة على نظريته وهي أن الألوان لها قدرة
على التعبير على عواطف الروح (3)

ومن المخرجين الذين استعملوا اللون ودلالته واعتمدها بشكل
كبير في فيلمه المخرج المصري شادي عبد السلام في فيلم المومياء
1957، وهذا الفيلم من تأليف وسيناريو وإخراج شادي عبد السلام ،
كما أن الأزياء من تصميمه .

ومن هنا نجد مصرًا على فكرته وهي استعمال ألوان ذات
رمزية ودلالة معينة وقد استعمل اللونين الأبيض والأسود ، والقيمة
هنا تضاد ، وهي من طرف أهل الوادي ضد أهل الجبل، فكلُّ
يختلف عن الآخر من حيث الطباع والمعتقدات والعادات والتقاليد ،
وحتى أن الأسود يرمز للموت والحزن والأسى، وحدة طباع أهل
الجبل ،بينما الأبيض يدل على الصفاء والنقاء والأخلاق الطيبة
والمشاعر الصادقة لأهل الوادي، لذا اعتمد شادي عبد السلام
اللونين الأبيض والأسود في الأزياء خلال الفيلم كله ولم يدخل أي
لون آخر .

Chromatique انه من الرموز الأساسية للصورة الرمز اللوني

وهو المختص في معرفتنا للدلالات التي تفرزها الألوان
والتي تحيلنا إلى علاقة الإنسان بالطبيعة وما تفرزه من تأثيرات

علينا ، فالإنسان يتمثل الحقيقة في لون السماء ، ويرى التوضيحية والعنف في اللون الأحمر وغيرها .(4)

قد يتم استعمال الألوان كما هي موجودة في الطبيعة هنا تعطينا شعورا بالراحة لمحاكاتها للواقع ، ولكن في كثير من الأحيان فإن استعمال الألوان وخاصة في الملابس قد تكون له دلالات أسطورية ومعاني تتعلق بثقافات الشعوب وتختلف دلالة لون من شعب لآخر .

اللون الأحمر يعبر عن الحب، في ثقافات عند الشعوب العربية والغرب أيضا يعبر عن الإغراء ، في الهند فستان الزفاف لونه احمر بخلاف اللون الأبيض الذي يرمز للطهارة والنقاء عند العرب والغرب ، بينما تلبسه الأرملة الهندية ، وعند المسلمين اللون الأبيض يرتبط بلون الكفن ، وهو لون محبوب جدا لحجاج البيت الحرام كما انه لون لباس ثوب صلاة الجمعة ، وهو لون طاغي على ثوب الرجل الخليجي .

الذاكرة المرجعية

اللون يرى بالعين ويدرك بالإحسان فكلما نرى ألوان نسترجع شعورنا به الأول عند اكتشافنا للعالم حولنا فالطفل ذو الأربع سنوات يعرف أن لون النار احمر ويحرق فنجد أن الطفل

عنده ذاكرة مرجعية فعندما لمس النار أحرقته ولذلك ارتبط
عنده اللون الأحمر الذي هو لون النار بالدفع والحرارة والألم .

في الأفلام هناك كثير ما يستعمل التعبير عن الحلم
بالأبيض والأسود ونجده أيضا في بعض الأحيان في فلاش باك
بالرجوع إلى الوراء بالأبيض والأسود ، حتى وان كان المخرج
قد استعمل ذلك المشهد في وقت سابق بألوانه الأصلية ولكنه
حسب تسلسل الفيلم ، كان المشهد في وقته الطبيعي وعندما
أصبح المشهد رجوعا إلى الوراء فلاش باك عدلت الألوان
ليصبح بالأبيض والأسود وهنا تعتبر لمسة جمالية أو من اجل
التنوع حسب نظرة المخرج أو لحاجة سينمائية مثلا لكي لا
يشعر المتفرج بإعادة للمشهد مرتين أو التكرار بل أصبح المشهد
كونه العودة إلى الماضي أو الحلم أصبح إضافة (حالة) جديدة
وقد يستعمل مشهد لم يسبق له استعماله في إحدى الحالتين
السابقتين.

ومن الأفلام التي اعتمدت على ألوان معينة وباهتة للدلالة
على الحياة بعد الموت فيلم الانميشن الامريكي الكومدي فندق
ترانسلفانيا للمخرج الروسي جندي تارتاكوفسكي سنة 2012 فيلم
ألوانه باردة بالأبيض والأسود، حيث يعيش مصاص الدماء
الشهير دراكولا مع ابنته مافيس ومجموعة من الكائنات تعيش
بعد الموت ، فلا حياة عندهم لا توجد ألوان زاهية تعبر عن

الحياة لأن هذه الكائنات تعيش في ظلام فالشمس في نظرهم محرقة وقاتلة ولا يعيشون النهار أبدا ، يدخل بعد ذلك في حياتهم بشري جوال يتميز بمظهره المشع بالألوان في ثيابه ولون شعره وكذلك لون بشرته المغاير ، شاذ عن طبيعتهم ، ولكي يتأقلم ويتماشى مع طبيعة عيشتهم يقوم دراكولا والد الفتاة مافيس بتغييره ليصبح ملائم لمعيشتهم حيث يقوم بطلاء جلده بلون رمادي لكي لا تظهر فيه مظاهر الحياة لأنه ممنوع على ابنته وعليهم جميعا مخالطة البشر.

بينما نجد فيلم خيالي تشارلي ومصنع الشوكولاتة للمخرج تيم بورتون سنة 2005 وهو فيلم مغامرات خيالي كوميدي عائلي ، مليء بالألوان الخيال وصور البديع عالم طفولي ساحر باهر يشجع المشاهد على الانغماس فيه بكل مشاعره وأحاسيسه رغم أخطائه التي لا ندركها حين رجوعنا إلى عالم الطفولة كالإكثار من الحلوى أو العيش في عالم الحلويات بألوان مختلفة وزاهية ومذاق حلو كحلاوة ألوانه .

للمخرج سيطرة على مدى تأثير الأحداث وذلك بالتحكم في اللون ، فيقلل من درجته أو يزيد في شدته وذلك ليؤدي اللون المعنى المقصود .

فالألوان لها تأثير على المتلقي في أزياء الممثل والموقف الذي يوجد فيه ، لأنه مثلا في الأزياء المبهرجة ألوانها تستحوذ على

المتلقي ، وذلك لأن الألوان ذات القيمة العالية تكون مثيرة ،
والألوان ذات القيمة المتوسطة تعطي الشعور بالراحة بينما
الألوان ذات القيمة المنخفضة تعطي الشعور بالكآبة والضجر .

إن استعمال الألوان بترتيب مريح وبشكل متناسق وفي هيكل
متناغم يعطيها انسيابية في تسلسل المشاهد ويعطي المشاهد أريحية في
الانتقال من لقطة إلى أخرى أو من مشهد إلى آخر .

آراء الفلاسفة الفنانين في الألوان :

للألوان أيضا تأثير بليغ على مشاعر الأدباء و الفلاسفة و
المفكرين الذي تظهره أقوال بعضهم كما يلي :

يقول الفنان دافينشي عن الألوان :

إن الألوان تحمل في داخلها سلطة المشاعر الإنسانية.

ويقول الفنان مايكل أنجلو :

إن للون قدرة وتجسيد وتجديد

ويقول الفنان ماتيس :

إن اللون سلطة التجانس و الحب

ويقول الفنان سلفادور دالي :

اللون هو الإنسان

ويقول الدكتور برولسكي :

إن أثر الألوان الفيسيولوجي واضح حيث نجد أن اللون الأصفر منشط لخلايا الفكر ، واللون البرتقالي يزيد من نبضات القلب، واللون الأحمر يزيد من ضغط الدم ويهيج عملية التنفس السريع، واللون البنفسجي الأرجواني مهدئ للجهاز الهضمي، أما اللون الأخضر فإنه مسكنٌ جيد ومنوم . (5)

يقول دويل عن الألوان :

(اللون جزء أساسي من التصوير الذي يتوصل الفنان به إلى محاكاة ظاهر ألوان جميع الأشياء الطبيعية ، وإلى توزيع اللون المناسب على كل شيء اصطناعي لخداع البصر) . (6)

خاتمة

وفي الأخير نقول امتزجت الألوان داخل الشاشة لتعطينا عالما خياليا خلابة يخطف المشاعر والأحاسيس من الواقع انه عالم الألوان بلمسة فنان، فعالم الألوان عالم ممزوج بالأمل والحياة ،عالم تجتاحه المشاعر والأحاسيس وتحتوي وتسيطر وترفر في سمائه ، ولذا يجب أن يهتم به وبطريقة استعماله وكيفية ذلك بطريقة تقنية رمزية تفيد وتخدم الموضوع بشكل تجعله رائع وجذاب .

الهوامش :

- 1- د.شاكر عبد الحميد ، عصر الصورة - السليبات والايجايات ، 1978، دار عالم المعرفة ، ص 35
- 2- ينظر ، د شاكر عبد الحميد ، عصر الصورة - السليبات والايجايات ، مرجع سابق .
- 3- ينظر ، سعيد شيمي ، الصورة السينمائية من السينما الصامتة إلى الرقمية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط 1 ، القاهرة ، 2013، ص 228.
- 4- إبراهيم محمد ليمان ، مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة ، المجلة الجامعية ، العدد 16، مجلد 2 ، ابريل 2014 .
- 5- ماهية اللون ، تكنولوجيا اللون ص 11
- 6- مارك جيمينيز، ما الجمالية ، ترجمة د.شربل داغر ، المنظمة العربية للترجمة ، الحمراء، ط 1 ، بيروت لبنان ، 2009 ص 81 .

